مآل أبوي النبي عليه الصلاة والسلام

أما بعد :

أما جوابا عن سؤال السائل :

فقد كثر الكلام حول مسألة مآل أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم وحقيقة مصيرهما فهل هما في النار أم في الجنة . فقال بعضهم أن آباء النبي صلى اللّه عليه وسلم وأجداده إلى آدم ليس فيهم كافر وأنهم أفضل من أبي بكر وعمر . وقال البعض الآخر أن أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم في النار لأنهما كانا يعبدان الأصنام ويشاركان المشركين في حياتهم . ويحتجون بحديث أنس أن رجلا سأل النبي صلى اللّه عليه وسلم : أين أبي ؟ فقال : [في النار] فلما ولى دعاه فقال : [إن أبي وأباك في النار] وقال البعض الآخر أن أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم أحييا بعد الموت فآمنا كرامة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

والجدير بالذكر هنا في هذه المسألة قضيتان :

الأولى : أن هذا ليس بموضع يجب أن يكثر فيه الخلاف والقيل والقال وكثرة السؤال . فما شأن الناس بمآل أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم وهل هما في النار أم في الجنة ؟ فما يفيد المسلم في ذلك ؟ إنما يجب الالتفات إلى غير ذلك من صلاح الأعمال والأقوال . وما تغاضى عنه القرآن يستحب أن يتغاضى عنه الإنسان . فالقرآن لم يشر إلى أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم ولم يذكرهما لا بخير ولا بشر . فالأولى على المسلم أن ينهج نهج القرآن وهو خير منهاج .

الثانية : يخطئ من يحكم على أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم بالكفر وقد قرأت في ذلك مؤلفا لم يقدم في المسألة شيئا ولم يؤخر بل هو مجرد جعجعة لا طائل من ورائها وهي في كلها ارتكاز على فهم غير سليم فالحكم على أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم بالكفر يقتضي وجود نقيض الكفر حتى يحكم على الخارج على نقيضه بالكفر . والصحيح أن أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم ماتا ولم يكن النبي قد بعث بعد . وكيف يبعث ويحاسب أبواه ببعثته وهو إذ ذاك لا زال في بطن أمه وأبوه في بطن الأرض . فكيف يحكم على رجل بالكفر ولا يوجد مسوغ الكفر عليه . إذ لم يعرف كفر الكافر بل ورواج هذا اللفظ (كافر) إلا بعد بعثة محمد صلى اللّه عليه وسلم ومجيء الإسلام . فالحكم على أبوي بالكفر فهم سقيم للمسألة ولو كان ذلك صحيحا لكان كل من مات قبل مجيء الإسلام كافرا ويشمل ذلك الأنبياء والرسل

وهذا يخالف العقل والنقل فمن سبق من الأنبياء والرسل والصالحين من الناس على دياناتهم التي شرعها اللّه والتي أتمها وختمها بالإسلام . فمن كان على نهج الأنبياء والرسل قبل مجيء النبي صلى اللّه عليه وسلم كان صالحا ومن خالف نهجهم كان طالحا . فلا يصح أن يطلق على الرجل المخالف للإسلام والمناقض له [كافر] إلا بعد بلوغه الإسلام وعدم دخوله فيه . فإن دخل فيه شكلا ولم يدخل فيه قلبا كان منافقا وإن دخل فيه قلبا ولم يدخل فيه شكلا كان مضطهدا وإن دخل فيه قلبا وشكلا كان مسلما مؤمنا . وإن لم يبلغه الإسلام فلا يسمى كافرا ولا يطلق عليه .

ثم إن غالب ما عليه أهل العلم والذي عليه قولنا واعتقادنا أن أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم يدخلان في مرحلة أهل الفترة فلا يحكم عليهم بنار ولا بجنة وإنما أمرهم إلى اللّه سبحانه إن شاء عذبهم وإن شاء رحمهم . وأهل الفترة هم الذين يأتون في فترة لا يوجد فيها رسول أو كانوا في مكان لم تصلهم فيه الدعوة وقد قال سبحانه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال بعض أهل العلم إن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع أمر اللّه نجى ومن عصاه هلك .

وأخر قولنا لعلى سؤال السائل أنه لا يصح الحكم على أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم بالنار لأمرين :

أولا : لغياب الدليل : فليس هناك دليل يستند فيه بالحكم على دخول أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم النار وأما حديثي مسلم فليسا بمحل احتجاج فقول النبي صلى اللّه عليه وسلم للرجل [إن أبي وأباك في النار] لا يقتضي حقيقة أباه وكانت العرب تطلق على العم أبا . فلا يمنع أن يكون المقصود بالحديث هو أبو طالب عم النبي صلى اللّه عليه وسلم بل إن حياة أبي طالب تؤكد ذلك . وقد أطلق القرآن لفظ الأب على [آزر] لإبراهيم وليس بأبيه وإنما هو عمه . فأبو إبراهيم هو تارح لما صح في النسب . والدليل إذا تطرق إله الاحتمال بطل به الاستدلال . وقد ساير النبي صلى اللّه عليه وسلم الأعرابي في سؤاله حتى لا يحز ذلك في نفس الأعرابي . فهو مسايرة لا غير كقوله لغيره [نحن من ماء] حينما سألهم الرجل عن أصلهم .

ثانيا : لأنه لم يثبت لا من صحيح ولا من حسن أن أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم قد شاركا في فعل من أفعال المشركين كعبادة الأوثان والأصنام بل قد وجد قول لأهل العلم أن الأصنام لم تدخل مكة إلا بعد وفاة أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم . فأمرهم إلى اللّه سبحانه هو العليم بحالهم . والحكم بالنار تعد على أمر اختص به اللّه سبحانه . وقد سئل ابن العربي عن مآل أبوي النبي وهل هما في النار فقال : ملعون من قال ذلك. وقد ألف السيوطي رحمه اللّه في ذلك كتابا سماه :" المنة في دخول أبوي

النبي الجنة" والقول بأن أبوي النبي صلى اللّه عليه وسلم أحييا بعد الموت وآمنا كرامة لرسول اللّه فلا يصح فيه شيء .

ألا فليتق الناس اللّه في أقوالهم وليلتزموا خشية اللّه ورضاه في استدلالهم

وصلى اللّه وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه العبد الفقير لربه أمحمد رحماني

ليلة الفاتح من يناير من سنة ألفين وتسعة

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته